لان اليهود لم يظهروا الى عالم الوجود الا بعد عصر النبي موسى وان كلمة « يهود » مشتقة من مملكة يهوذا التي ترجع الى عهد الانقسام . لذلك لا يمكن تحديد بداية تاريخ اليهود بغير زمن ظهورهم بعد عهد موسى الذي حدده الباحثون بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد ، اي بعد ابراهيم الخليل بسبعمائة عام كما قد اشرنا الى ذلك عدة مرات للتاكيد . لذلك فعلى الباحثين والمؤرخين ان يتمسكوا بامانة البحث واسلوب المنطق وان يراعوا التسلسل التاريخي فلا يخلطوا بين عصر ابراهيم الخليل ويعقوب وبين اليهود الذين ظهروا بعد عهد موسى ، وهما دوران تفصل بينهما عدة قرون .

٣٥ ــ ان نعت ابراهيم الخليل بـ « العبراني » كما ورد في التوراة يراد به معنى العبرين القبائل البدوية العربية ، ومنها القبائل الارامية العربية التي ينتمي اليها ابراهيم الخليل نفسه ،

وبهذا المعنى وردت كلمة « عبري » و « عبيرو » و « خبيرو » في الكتابات القديمة التي اكتشفت مؤخرا وهي تعود الى ما قبل ظهور النبي موسى بعدة قرون . لذلك يجب التمييز بين العبري واليهودي في بحث تاريخ فلسطين ، لان استعمال كلمة « عبري » بمعنى يهودي في هذا الدور يربط اليهود بعصر ابراهيم الخليل ، في حين ان عصر ابراهيم الخليل عصر عربي خالص قائم بذاته لم يكن لليهود اية صلة به ، لذلك لم يرد مصطلح «عبري» او « عبراني » في القرآن الكريم مطلقا وانما ورد فيه ذكر « الاسرائيليين » و « قوم موسى » و « يهود » (الذين هادوا) ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك . وقد نبه القرآن الكريم الى هذه الناحية بقوله : « يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون .. ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » اما كلمة عبري للدلالة على اليهود فقد استعملها الحاخامون بهذا المعنى في وقت متاخر في فلسطين (٣) .

٣٦ ــ ان الاله الذي كان يدعو ابراهيم الخليل الى عبادته الاله « ايل » خالق السموات والارض وهو غير اله اليهود ، لان دعوة ابراهيم الخليل الى عبادة الاله الواحد دعوة عامة موجهة الى جميع الوثنيين في عصره من غير تمييز بين الناس ، ولم يكن قد وجد اليهود بعد ، ومما يذكر في هذا الصدد ان معنى اسرائيل هو عبد الاله « ايل » مما يدل على ان يعقوب (اسرائيل) كان يدين بدين ابراهيم ، كما ان مصطلح « الخليل » مشتق من « خل » و « ايل » ، اي صديق الاله « ايل » كما ورد في القرآن الكريم « واتخذ الله ابراهيم خليلا » . ويلاحظ ان اقران اسماء الاشخاص بالاله « ايل » لا تزال مستعملة حتى الوقت الحاضر من غير ان ننتبه الى اصلها مثل اسماعيل (اسمع يا ايل) وميخائيل وجبرائيل اي ليحم الاله « ايل » ميخا وجبرا الخ .. (٤)

وبعد ان انحرف اليهود عن ديانة موسى بعد عهد موسى عبدوا الاوثان ، ثم ابتدعوا الاله « يهوه » عندما دون الكتبة التوراة ، وهو الههم الخاص بهم ، الاله الذي لا يهمه من العالم والخلق غير اليهود (شعبه المختار) ، على غرار مبدا التفريد الذي اعتنقته الاقوام القديمة حيث كانت القبيلة او المدينة تعبد الها واحدا من بين مجموعة الآلهة من غير ان تنبذ عبادة الآلهة الاخرى .

والارجح ان اليهود اخذوا بهذا المبدا من البابليين عندما دونوا توراتهم في الاسر في بابل ، اذ كانت كل مدينة من المدائن البابلية تختص باله واحد من بين مجموعة الالهة . لذلك تعد دعوة ابراهيم الخليل الى وحدانية الله الخالصة اول دعوة عامة للتوحيد في تاريخ البشرية بالمعنى الدقيق لمصطلح التوحيد (Monotheism) وهي عربية لغة ووطنا ، ثم جاءت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، النبي العظيم خاتم الانبياء ، وقد نزلت عليه باللغة العربية

ايضا ، لان اللغة التي كان يتكلم بها ابراهيم الخليل هي اللغة العربية الام ووطنها الاصلي الجزيرة العربية ، وكانت في تلك الازمان لغة واحدة تتكلم بها جميع القبائل العربية النازحة من الجزيرة الى الهلال الخصيب، وذلك قبل ان تتفرق هذه اللغة الاصلية الى لهجات مختلفة ضمن كتلة اللغات السامية كما تقدم بيانه . وبدا كان ابراهيم الخليل رسولا وزعيما عربيا يحمل رسالة الانسانية التي لا تقيدها حدود ولا تقف في سبيلها عصبية الاقوام والامم .

وقد عرف الكنعانيون والاراميون اله « ايل » الذي دعا ابراهيم الخليل لعبادته ، اذ ورد ذكره في كتاباتهم للدلالة على اله العلي العظيم مما يدل على ان بعض القبائل الكنعانية كانت تتقبل فكرة التوحيد منذ عهد ابراهيم الخليل (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) . وقد جاء ما يؤكد ذلك على لسان التوراة ذاتها ، فلما دخل الموسوبون الى ارض كنعان كانت هناك قبيلة كنعانية بزعامة نبي كنعاني يدعى « بلعام » تمارس عقيدة التوحيد وكان لهذا النبي الموحد مكانة روحانية كبيرة في ارض كنعان (الاصحاح ٢٢ من سفر العدد وما بعده) . ويدل كل ذلك على ان عقيدة التوحيد الخالصة عقيدة عربية الاصل مصدرها جزيرة العرب اولا واخرا وان اصل النبوة الالهية عربية لفظا ومعنى .

٣٧ ــ يذكر اليهود في كتبهم التي يعلمونها للنشء الجديد او التي ينشرونها بين الناس عن تاريخهم « ان الشعب اليهودي نزح الى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الالف الرابعة قبل الميلاد بقيادة ابراهيم الخليل ولم يكن عددهم انذاك يتجاوز اربعة آلاف شخص » (٥) ، وهذه المفاهيم نفسها تدرس اليوم في الجامعات والكليات الاوروبية والاميركية لان الاساتذة الذين يضعون كتب التاريخ القديم هم من اليهود او من المسيحيين المتعصبين للتوراة . وقد قبل العرب هذا الهراء على علاته وصاروا يرددون ذلك دون تمحيص او دون ان يقفوا لحظة ليفكروا ويسالوا انفسهم : اين كان اليهود في عصر ابراهيم الخليل ، وكيف تم التوصل الى احصاء عددهم وهو اربعة الاف شخص في حين ان اليهود لم يظهروا الى عالم الوجود الا بعد الالف الرابعة قبل الميلاد ب ٢٧٠٠ سنة !. لذلك فعلى المسئولين في البلاد العربية ان يعملوا على حشد الجهود في تربية الجيل الجديد باعادة النظر في تاريخنا القومي الذي يظهر تاريخ فلسطين القديم على حقيقته وحقيقة صلة اليهود به . وهذا لا يتم الا بادخال هذا الموضوع في مناهج التعليم في جميع البلاد العربية واعداد كتب خاصة لتدريس تاريخ فلسطين القديم في المدارس وتوزيع الكتب بمختلف اللغات تظهر هذا التاريخ على حقيقته وذلك ردا على مثل هذه الادعاءات المزيفة .

عصر النبي موسى والتوراة

٣٨ ــ ظهر النبي موسى في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، اي بعد زمن ابراهيم الخليل بسبعمائة عام ،

وهو على راي الباحثين مصري قح تربى في البلاط الفرعوني وكان قائدا مصريا وقد تولى قيادة الحملة المصرية على الحبشة التي سجل فيها ظفرا كبيرا فتزوج هناك من « تربيس » بنت ملك الحبشة . كما كان النبي موسى على دين التوحيد الذي اعتنقه اخناتون فرعون مصر (١٣٧٩ ــ ١٣٦٢ ق.م) القائم على عبادة الاله الواحد عن طريق نشر الاخاء العالمي وان حملته على ارض كنعان (فلسطين) التي اطلق عليها كتبة التوراة « خرج بني اسرائيل» هي حملة مصرية مؤلفة من جماعة من الجنود المصريين ومعهم فلول من بقايا الهكسوس الذين كانوا يدينون بدين التوحيد ، وقد ورثوه عن اخناتون ، فاضطروا الى الهرب من مصر من وجه الاضطهاد بعد موت اخناتون ، وقد جاءوا بقيادة النبي موسى ليحتلوا بقعة من الارض المعمورة في كنعان باوون

اليها . وهؤلاء هم « قوم موسى » جاءوا الى ارض كنعان وهم غرباء عنها يتكلمون اللغة المصرية الفرعونية ولم تكن لهم اية صلة ببني اسرائيل الذين كانوا قد جاءوا الى مصر في عهد يوسف قبل عصر موسى بحوالي ستمائة عام والذين انصهروا واندمجوا بشعب مصر وبيئة مصر نهائيا .

وقد توصل الباحثون ايضا الى ان موسم اسم مصري قديم لا يتصل باية صلة ببني اسرائيل ، فقد ورد ذكر احد فراعنة مصر باسم « اح ــ موسى » ، وهو مؤسس السلالة الثانية عشرة (١٥٨٠ ــ ١٥٤٦ ق.م.) ، كما ان الكاهن الاعلى لمدينة ممفيس، عاصمة مصر المشهورة في عهد تحوطمس الثالث (١٤٧٩ ــ ١٤٤٧ ق.م.) ، كان يدعى « بتاح موسى » ، وبتاح هو اهم الهة ممفيس قدسه معظم المصريين وقد كان في اعتقادهم انه هو الذي خلق الدنيا ، وفي الصورة التالية يشاهد الهرم الخاص ببتاح موسى (٦) .

ومعنى موسى بالمصرية القديمة (الطفل) ، فاسم طحموس اي طفل الاله طحوط وبتاح موسى طفل الاله بتاح الخ .. (٧) ويقول المؤرخ اليهودي « يوسفوس » (القرن الاول للميلاد) ان موسى كان كاهنا مصريا خرج للتبشير بدين التوحيد (٨) ، كما ان الفيلسوف اليهودي الاسكندري « فيلون » (٣٠ ق.م. ــ ٤٠ ب.م.) ايد ايضا بان موسى كان مصريا (٩) .

٣٩ ــ ويرى المؤرخون الغربيون ان موسى اخذ بعقيدة التوحيد الخالصة من اخناتون ، فيقول العلامة « ويج في كتابه » حضارة الشرق الادنى « ان اول من قال بالوحدانية الخالصة هو اخناتون ، ويبدو ان موسى وقد امضى طفولته وصباه وشبابه في مصر عرف هذه العقيدة وتاثر بها ودعا لها » . ولعل عاموس الذي دعا الى عبادة الاله الواحد اله جميع الاقوام من غير تمييز بين البشر في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد قد اخذ بهذه العقيدة من وحدانية اخناتون التي دعا اليها موسى ، وذلك قبل ان تكتب توراة اليهود في الاسر التي ابتدعت عبادة الاله « يهوه » الخاص باليهود .

٤٠ ــ وتدلنا المكتشفات الاثارية على ان هذه الغزوة ليست الغزوة المصرية الاولى لفلسطين ، فقد سبقتها عدة غزوات مماثلة على عهد الفراعنة الاوائل ، فقد نقلت لنا الكتابات المصرية القديمة ان الفرعون تحوطمس الثالث (١٤٧٩ ــ ١٤٤٧ ق.م) هو وحده قام بسبع عشرة حملة على ارض آسيا وهذه كلها عن طريق كنعان بطبيعة الحال . وهناك دلائل قوية على ان الحملة على فلسطين التي نسبها كتبة التوراة الى بني اسرائيل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيادة النبي موسى ان هي الا حملة مصرية بحتة على نمط الحملات المصرية العديدة التي سبقتها ، فقائدها نبي مصري والرادها من بعض الجنود المصريين ومن فلول بقايا الهكسوس الذين اندمجوا مع المصريين بعد طرد الهكسوس من مصر ، والبعض الآخر ، كما يقول الدكتور غوستاف لوبون ، من الاسرى والعبيد الفارين ، ومما لا شك فيه ان جميعهم كانوا يتكلمون اللغة المصرية الفرعونية وهؤلاء هم الموسويون (قوم موسى) ، وقد نسبهم كتبة التوراة الى بني اسرائيل لتحقيق مآرب خاصة سبقت الاشارة اليها في التمهيد لهذه المقدمة . والظاهر ان فلسطين كانت الملجا للعبيد المصريين الفارين من اسيادهم ، فيقول الكاتب الفرنسي جان برنار « ان وضع فلسطين المؤلم كان قد خلع عليها في الشرق اسم المنطقة التي تؤوي العبيد الابقين من اسيادهم ... » (اسطورة الشعب المختار ترجمة الدكتور اكرم فاضل ، ص ١١) .

٤١ ــ ومما يثبت ان الجماعة التي عاشت في مصر عيشة العبودية واجبرت على العمل في البناء قبيل الخروج والتي سماها كتبة التوراة ببني اسرائيل هي من بقايا الهكسوس وليس من بني اسرائيل ، ان عثر على كتابة من عهد رعمسيس الثاني ، وهو الفرعون الذي وقع الخروج في عهده ، سميت فيها هذه الجماعة بـ « العبريو الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك »، والمقصود هنا بالعبريو العبيرو اي القبائل العربية البدوية وليس بني اسرائيل (انظر الفقرة ٣٥ عن العبيرو) ، وهذه هي التسمية نفسها التي كان الهكسوس يعرفون بها عند المصريين اذ كانوا يطلقون عليهم اسم « ملوك الرعاة » و « رعاة آسيا » .

ومما يدل ايضا على ان الجماعة التي سخرها رعمسيس الثاني (١٣٠٠ ــ ١٢٧٢ ق.م.) لبناء مدينته المسماة باسمه « رعمسيس » (وقد اعتبرت التوراة هذه الجماعة بني اسرائيل) هم بقايا الهكسوس وليس بني اسرائيل ان المدينة الجديدة بنيت في موضع مدينة « افارس » (هوارس) عاصمة الهكسوس في مصر ، وبطبيعة الحال كان من بقي من الهكسوس في مصر متجمعا في هذه المنطقة ذاتها فسخروا في بناء المدينة الجديدة ، بعد ان اصبحوا مصدر خطر على الدولة المصرية .

٤٢ ــ ثم اخذ الموسويون بعد مرور عدة قرون بالثقافة الكنعانية وتقاليدها وعاداتها كما اخذوا بلغتها الكنعانية . وهناك دلائل على انهم انحرفوا عن ديانة موسى التي كانت تقضي بعبادة الاله الواحد خالق السموات والارض وهو الاله الذي كان يدعو الى عبادته اخناتون فرعون مصر عن طريق نشر الاخاء العالمي بين الانسان واخيه الانسان ، فمنذ عهد موسى وهو لم يزل حيا عاد اتباعه يعبدون العجل ويرقصون حوله وزاغوا سريعا عن الطريق الذي اوصاهم به الله . وتزعم التوراة ان الملك سليمان ذاته انحرف واشرك بالله اذ احب نساء غريبة كثيرة معبنت فرعون ــ موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحيثيات . وتشير التوراة ايضا الى ان الموسويين قد عادوا الى عبادة الاصنام واستمروا عليها بعد الانقسام مباشرة هم وملوكهم ، ذلك ما يدل دلالة قاطعة على ان الديانة الوثنية ديانة سكان البلاد كانت هي المتغلبة في البلاد وان اليهود كانوا اقلية طيلة مدة بقائهم فيها .

٤٣ ــ ان شريعة موسى الاصلية لا يعرف شيء عنها ، اذ لم يعثر على اي اثر لها ، لذلك ففير معلوم باية لغة كتبت ، ولكن القرائن كلها تدل على انها كتبت باللغة المصرية وبالهيروغليفية وهي لغة موسى واتباعه . اما التوراة المتداولة في الوقت الحاضر فقد كتبها الكهنة والاحبار اليهود في فترة الاسر في بابل (٥٨٦ ــ ٥٣٩ ق.م) ، اي بعد عصر النبي موسى بحوالي ثمانيمائة عام وبعد ان انحرف الموسويون عن دين موسى وعبدوا الاصنام ثلاثمائة قرن في فلسطين قبل سبيهم . وهؤلاء هم بقايا مملكة يهوذا المنقرضة وقد عاصروها في اواخر ايامها ، وكانت احلامهم منصبة على العودة الى فلسطين فصمموا مندفعين بهذا الحلم الوهمي ديانة اشبعوا فيها شهواتهم ورغباتهم لتحقيق الهدف الذي رسموه لها ، وكان ذلك بعد عصر ابراهيم الخليل باكثر من الف وثلاثمائة عام وبعد عهد موسى بثمانيمائة عام كما تقدم . ويعترف العالم اليهودي سيلفر في كتابه « موسى والتوراة الاصلية » بان التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى الاصلية في اية ناحية « وحتى الوصايا العشر التي يكاد يجمع العلماء انها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الاصلية لم يكن بكمالها وعلى هيئتها الحالية كالتي اتى بها موسى » (١٠) .

٤٤ ــ ولقد ثبت ان ما ورد في هذه التوراة من شرائع وتقاليد وطقوس دينية مقتبس كليا من الشرائع الكنعانية والبابلية ، فيقول البروفسور وورتمن في ذلك :

« لقد اصبح من المسلم به الان ان جميع الاعياد اليهودية ما عدا عيد الفصح ، كانت بالاصل من الطقوس الدينية في كنعان وان شرح طريقة تطبيقها ومراعاتها يكون مجموعة من الشرائع ، لنا كل الحق ان نعتبرها اساسا من عهود ما قبل اسرائيل » . كما يقول الاستاذ اولمستيد الخبير في تاريخ فلسطين القديم : « والفضل يرجع الى حمورابي وشريعته في حمل الكنعانيين على اعادة النظر في شريعتهم الاولى وتنسيقها من جديد واضافة زيادات وتنقيحات اليها وجعلوها شريعتهم الخاصة بهم ، وهي نفس الشريعة التي جاءت في التوراة وقد حافظ عليها اليهود بادخالها في كتبهم المقدسة فوصلت الينا عن طريق ممارستهم الفرائض التي وردت فيها ». ويؤكد كذلك الاستاذ وورتمن « ان التحقيقات